

موقف المفكرين المسلمين من الاستشراق: بين ضياع الهوية وصحوة الوعي

م.د فاطمة سامي شهاب المعاضيدي¹¹ جامعة الأنبار - كلية التربية للبنات - قسم التاريخ - العراقfatima.sami@uoanbar.edu.iqأ.د قحطان عدنان بكر المولى²² جامعة الأنبار - كلية التربية للعلوم الانسانية - قسم التاريخ - العراقedw.almoly10@uoanbar.edu.iq

ملخص. يتناول هذا البحث مواقف عدد من المفكرين المسلمين من ظاهرة الاستشراق، بوصفها إحدى القضايا الفكرية التي كان لها أثر كبير في دراسة التراث الإسلامي وتشكيل صورة الإسلام في الفكر الغربي. فقد تباينت مواقف المفكرين المسلمين تجاه الاستشراق بين القبول الجزئي لبعض مناهجه العلمية والإفادة من تحقيقاته للنصوص، وبين النقد الحاد لما تضمنته بعض الدراسات الاستشراقية من تحيزات فكرية أو خلفيات أيديولوجية أثرت في تفسير التاريخ الإسلامي وفهمه. وينطلق البحث من إشكالية رئيسة مفادها: كيف تعامل المفكرون المسلمون مع النتائج الاستشراقية؟ وهل أسهمت بعض القراءات غير النقدية لهذا النتاج في إضعاف الوعي بالهوية الحضارية، أم أن النقد العلمي له كان سبباً في بروز صحوة فكرية تسعى إلى إعادة قراءة التراث الإسلامي والدفاع عنه بمنهج علمي رصين؟ ولتحقيق ذلك يعتمد البحث المنهج التاريخي التحليلي المقارن، من خلال دراسة نماذج مختارة من المفكرين المسلمين الذين تناولوا الاستشراق بالنقد أو التحليل، وبيان طبيعة مواقفهم وأثرها في تشكيل الوعي الفكري المعاصر تجاه الدراسات الاستشراقية. كما يسعى البحث إلى إبراز دور هذه المواقف في الانتقال من حالة التلقي غير النقدي إلى مرحلة الوعي العلمي الذي يوازن بين الإفادة من الجهد الاستشراقي والحفاظ على الهوية الفكرية والحضارية للأمة.



الكلمات المفتاحية: الاستشراق – المفكرون المسلمون – الهوية الحضارية – نقد الاستشراق – الدراسات الإسلامية – الوعي الفكري – التراث الإسلامي

Abstract.

This study examines the positions of a number of Muslim intellectuals toward the phenomenon of Orientalism, which represents one of the major intellectual issues that has had a significant impact on the study of Islamic heritage and the formation of Islam's image within Western thought. Muslim intellectuals have held varying attitudes toward Orientalism, ranging from partial acceptance of some of its scholarly methodologies and benefiting from its textual investigations, to sharp criticism of certain Orientalist studies that contain intellectual biases or ideological backgrounds that have influenced the interpretation and understanding of Islamic history. The research is based on a central question: How did Muslim intellectuals engage with Orientalist scholarship? Did some uncritical readings of this body of work contribute to weakening awareness of civilizational identity, or did scholarly criticism of it led to an intellectual awakening that seeks to reread and defend Islamic heritage through a sound academic methodology?

To address this issue, the study adopts a historical-analytical approach by examining selected examples of Muslim thinkers who addressed Orientalism through critique or analysis. It also seeks to clarify the nature of their positions and their impact on shaping contemporary intellectual awareness toward Orientalist studies. Furthermore, the research highlights the role of these perspectives in moving from a stage of uncritical reception to a phase of scholarly awareness that balances benefiting from Orientalist contributions while preserving the intellectual and civilizational identity of the Muslim community.

Keywords: Orientalism – Muslim Intellectuals – Civilizational Identity – Critique of Orientalism – Islamic Studies – Intellectual Awareness – Islamic Heritage.

المقدمة

منذ أن وُلدت الظاهرة الاستشراقية في الغرب، باتت مصدرًا لصورة الإسلام والعرب في الوعي الأوروبي. وقد أثر خطاب الاستشراق لا في إنتاج الغرب فقط، بل في تشكيل نظرة المسلمين إلى أنفسهم. فالتاريخ، والعقيدة، والقرآن، واللغة، والمجتمع، كانت كلها مواضيعًا لتأويلات مستشرقين تباينت دوافعهم بين الديني والسياسي والمعرفي.

ويهدف البحث إلى تفكيك أنماط التفاعل (ضياح – صحة – بناء نقدي). إبراز النماذج التاريخية المعبرة عن الوعي الرسالي في مواجهة الآخر. وتضمن البحث خمسة محاور رئيسية هي:





1. المفاهيم الأساسية للاستشراق (تعريفه، اهدافه، رموزه، آثاره)
- 2- الاستشراق والهوية.
3. أنماط التفاعل مع الاستشراق.
4. نماذج من المفكرين المسلمين (نقد وتفكيك).
5. نحو مشروع معرفي حضاري بديل في مواجهة الاستشراق

1. المحور الأول: المفاهيم الأساسية للاستشراق (تعريفه، اهدافه، رموزه، آثاره)

1.1. مفهوم الاستشراق

الاستشراق مصطلح يُطلق على جهود علماء الغرب في دراسة الشرق، وبخاصة الإسلام وثقافته وتاريخه، منذ العصور الوسطى وحتى اليوم. وقد بدأ كاهتمام ديني في القرون الأولى، ثم تطوّر إلى حركة معرفية ذات أبعاد سياسية وثقافية واستعمارية، وبلغ ذروته في القرنين التاسع عشر والعشرين.

أذ عرفه برنارد لويس، فقدم الاستشراق على أنه محاولة "لفهم حضارة الإسلام" من منظور تاريخي وعلمي، لكنه يقع في تناقضات أيديولوجية في كثير من تحليلاته، لا سيما حين يتناول قضايا مثل العنف والجهاد واعتبر المسلمون محتلون بأنهم سيطروا على الشرق الاوسط وافريقيا بدينهم الخاص وكتابهم الخاص ولغتهم الخاصة، واقاموا حكمهم الخاص بهم (2013، أزمة الإسلام ص48).

وتعريف جولد تسهير عن الاستشراق كان مشروع علمي لتحليل الإسلام والقران الكريم والذي اعتبره مزيج من الطوائف المختلفة اختلافا جوهريا وان الإسلام اقتبس من الديانتين اليهودية والمسيحية القواعد الوضعية وان الهوية الإسلامية تشكلت من خلال التقاليد والتفسيرات الدينية داخل المجتمع الإسلامي (العقيدة والشريعة، ص10_25)

أما غوستاف لوبون فأشار (كان من نتائج اضطراع الشرق والغرب منذ قرون مضت ، والقاء العرب الرعب في قلوب الاوربيين أن صار الاوربيون يشعرون بمذلة الخضوع للحضارة العربية التي لم يتحرروا من سلطانها إلا منذ زمن قريب، فأخذوا ينكرون فضل العرب وتمدينهم لها...) (2018، حضارة العرب، ص7) وجاءت نظرة المستشرق الامريكي جيمس هنري بريستيد في قوله عن المستشرقين انهم يريدون قتل حضارة الشرق عمدا لانهم يريدون اخفاء الحقيقة). (1969، انتصار الحضارة تاريخ الشرق القديم، ص308) أما من زاوية المفكرين المسلمين، فقد تعددت التعريفات، إلا أن أبرزها يتلخص:





عرّفه إدوارد سعيد بأنه: "مجموعة من الأساليب والافتراضات المؤسسة التي يتعامل بها الغرب مع الشرق، من خلال خطاب يجعل من الشرق موضوعاً للتمثيل والتفسير والتفوق" (1981، الاستشراق، ص11).

وعرفه ايضاً:

والاستشراق . بصفته خطاباً معرفياً أنتجه الغرب عن الشرق الإسلامي . لم يكن نقياً من التحيز، بل ارتبط تاريخياً بغايات استعمارية ودينية وثقافية، تجلّت في تشويه النصوص، وتقزيم التاريخ، وتأطير الإسلام ضمن نماذج جامدة (سعيد، 1981، ص17).

كما ويرى إدوارد سعيد أن الاستشراق لم يكن علماً محايداً، بل خطاباً سلطوياً أنتج الغرب من خلاله "الشرق" كصورة ذهنية مشوهة تعكس مصالحه وتوقه (سعيد، 1981، ص13).
"علمٌ منشغل بالإسلام من خارج بنيته، يفترض فيه الحياد لكنه محكوم بمرجعيات لاهوتية وثقافية غربية" (البهي محمد، 1957 الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، ط1، القاهرة، ص41_52).
وأشار انور الجندي (أن علم المستشرقين عرضة للنقد والتحقيق كسائر الناس ولابد من أن ينتقدوا الانتقاد الصحيح ليظهر الغثاء وينبذ، ويبلغ إلى صميم الحق فيتبع، ولقد وجدنا هفوات لا تغتفر لهؤلاء المستشرقين من جميع الامم وفي جميع التأليف). (الثقافة العربية المعاصرة في معارك التغريب والشعبوية، ص231)

اورد محمود حمدي زقزوق أن الحركة الاستشراقية حركة فكرية هائلة، وما تنتجه يخصنا ويخص عقيدتنا ولغتنا وتراثنا وتاريخنا وذاتيتنا، وهل نكتفي بموقف المتفرج، فالأمر ليس مجرد استحسان أو استهجان عابرين نفرح حين يمين علينا بعضهم بكلمات المدح ونفرع غاضبين حين يصب علينا بعضهم الآخر صواعق فكرية، الأمر أخطر من ذلك بكثير بعقيدتنا وفكرنا وحضارتنا (الثقافة العربية المعاصرة في معارك التغريب والشعبوية، ص129)

واورد فاروق عمر فوزي (أن المستشرق وبسبب من ثقافته وبيئته المتشعبة بروح العداء من الإسلام وتاريخه مهما حاول أن يكون متجرداً فلا بد أن ينحرف أو يشطط شعورياً فيجتز بعض مظاهر الصورة المشوهة للإسلام من تراثه الاوربي المتركم عبر القرون)(1998، التاريخ الإسلامي والقرون الاسلامية الاولى، ص29)

1.2. أهداف الاستشراق





لم يترك المستشرقون وسيلة لنشر أبحاثهم وتحقيق أهدافهم وبث آرائهم إلا وسلوها كتأليف الكتب في موضوعات عن الإسلام وتحريفها وإصدار المجلات الخاصة والرسائل التبشيرية وغيرها.. رغم تنوع المدارس الاستشراقية، يمكن تلخيص أبرز أهدافها في ما يلي:

- 1- الهدف الديني: تنصير المسلمين من خلال معرفة دينهم لتفنيده، وقد نشطت في هذا المجال البعثات التبشيرية المرتبطة بالفاتيكان والكنيسة الإنجيلية منذ القرن السادس عشر (عبد الرحمن بدوي، 1940، التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية دراسات لكبار المستشرقين، ص 5_27).
أن معظم نتائج المستشرقين تركزت حول أساسيات العقيدة الإسلامية فالقران الكريم والسنة والفقهاء الإسلامي مواضيع اخذت من وقت واهتمام الدوائر الاستشراقية كان تناولهم لها قديما وحديثا بصورة تعتمد الشك والافتراضات الخاطئة والنتائج المسبقة، وهنا يبرز بوضوح سيطرة الدافع الديني على أبحاث الاستشراق ودراساته، ليس هذه من قبيل التحامل على المستشرقين وإنما اخذت هذه الحقيقة من أقوال الزعماء المستشرقين. (الزيادي، محمد فتح الله، 1998، الاستشراق أهدافه ووسائله، ط1، دار قتيبة، ص 36)
- 2- الهدف السياسي: تمهيد الطريق للحملات الاستعمارية، كما في الحالة البريطانية في الهند أو الفرنسية في الجزائر، حيث وفرت الدراسات الاستشراقية معرفة دقيقة باللغات والعادات والنظم الإسلامي، لقد أسهمت الدراسات الاستشراقية بالنصيب الوافر والجهد الواسع في تمكين الاستعمار الغربي في البلاد الإسلامية، ومحاولة تهيئة الأجواء والنفوس لقبوله والخضوع لولايته ورأينا الكثير من المستشرقين ارتضوا أن يسخروا علمهم وإمكاناتهم في سبيل قهر المسلمين وإذلالهم ، بدعم الحركة الاستعمارية.(محمد، اسماعيل علي، 1998، الاستشراق بين الحقيقة والتضليل، ص 59)
- 3- الهدف العلمي الظاهري: إنتاج معرفة أكاديمية عن الإسلام والشرق، لكنها لم تكن خالية من الانحياز، إذ وُظف كثير من الاستشراق في ترسيخ صورة الإسلام كدين جامد أو عدواني.
أن الدافع العلمي من الاستشراق يظل ضئيلا ومحدودا حتى انه ليتوارى في كثير من الأحيان من خريطة الدراسات الاستشراقية كما يظل كذلك محدود الأثر بدرجة يعجز معها عن ترسيخ تيار عام في إطار الدراسات الاستشراقية، يستطيع أن يزيح تيار التحامل والتحيز ضد الإسلام ويعدل من صورته لدى الغرب.(محمد ، ، 1998 ، ، ص 54)

1.3. رموز المدرسة الاستشراقية



1. إدوارد سعيد (1935-2003): المفكر الفلسطيني الذي أسس النقد المعرفي للاستشراق، ورأى فيه بنية فكرية مرتبطة بالاستعمار، هدفها السيطرة الثقافية لا الفهم الموضوعي (سعيد، 1981، ص 45-49).

2. برنارد لويس (1916-2018): مستشرق أمريكي - بريطاني، وصفه كثيرون بأنه "عرّاب الصراع الحضاري"، وقد قدّم تحليلات عن الإسلام تتسم بالتحامل، خصوصاً حين يربطه بالإرهاب والتخلف (لويس، 2003، أين الخطأ؟ التأثير الغربي واستجابة المسلمين، ط1، ص 9).

3. مونتجمري وات (1909-2006): رغم أنه أكثر اعتدالاً، فقد كتب عن النبي محمد والسيرة بأسلوب تحليلي، لكنه وقع أحياناً في إسقاطات غير دقيقة على النصوص (وات، مونتجمري، محمد في مكة، 1952، المكتبة العصرية، بيروت، ص 82_93).

1.4. أثر الاستشراق على صورة الإسلام

ساهم الاستشراق في ترسيخ مجموعة من الصور النمطية التي لا تزال تؤثر حتى اليوم، منها: الإسلام دين السيف والعنف.

المسلمين قوم عاطفيون، لا يحسنون التفكير العقلاني.
الحضارة الإسلامية منقولة عن اليونان وليست أصيلة.
الفقه الإسلامي متجمد غير قابل للتطور.

وقد أُعيد إنتاج هذه الصور في المناهج الدراسية، والأفلام، ووسائل الإعلام الغربية، وهو ما أشار إليه سعيد بوضوح حين قال: "الاستشراق كان أداة خطيرة لتكوين صورة عن الذات الأوروبية من خلال تحقير الآخر المسلم" (1981، ص 42).

2. المحور الثاني: الاستشراق والهوية

2.1. مفهوم الهوية في الفكر الإسلامي

الهوية في الإسلام ليست عرقية ولا قومية، بل دينية-حضارية، تنبع من الإيمان بالتوحيد، والانتماء للرسالة الخاتمة، والارتباط بالأمة واللغة والقيم. قال تعالى:
﴿هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾ (الحج: 78)



وهذه التسمية تأسيس لهوية ذات عمق تاريخي ورسالي.

وقد أكد أبو الحسن الندوي أن "الهوية الإسلامية ليست شعارًا، بل رسالة ذات مسؤولية"، وهي هوية تشكلت من ثلاث دوائر:

1. القرآن والسنة.
 2. التاريخ الرسالي والنبوي.
 3. المنظومة القيمية (العدالة، الرحمة، العقل، الإيمان).
- (1995، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ط5، دمشق: دار القلم، ص23).

2.2. العلاقة الجدلية بين الاستشراق والهوية

يحاول الخطاب الاستشراقي - صراحة أو ضمناً - إعادة تعريف الإسلام من خارجه، أي من خلال تصورات تنزع عنه بعده الرسالي والتاريخي، وتُعيد تأطيره كظاهرة اجتماعية أو دينية بشرية نشأت في ظروف سياسية واقتصادية.

وهذا ما يُشكل تهديدًا مباشرًا للهوية الإسلامية، لأن المستشرق يعيد تعريف الذات الإسلامية بأدوات الآخر، ويُقدمها للغرب والعالم على أنها "تصوص عنيفة"، أو "تجربة تاريخية متأخرة"، أو "دين جامد لا يستجيب للعصر"، كما يصفه برنارد لويس (لويس، 2004، ص13-17).

3. المحور الثالث: أنماط التفاعل مع الاستشراق

لقد تنوعت ردود فعل المفكرين المسلمين تجاه الاستشراق، ما بين الرفض التام، أو القبول المفرط، أو النقد التحليلي المتوازن. ويمكن تصنيف هذه الأنماط في ثلاث اتجاهات كبرى:

3.1. التفاعل الانفعالي - خطاب الرفض

يتجلى هذا النمط في ردود عاطفية على الاستشراق، ترى في المستشرقين خصومًا للإسلام من حيث الأصل، وتعتبر نتائجهم معاديًا بالضرورة. وقد ظهرت هذه النزعة خصوصًا في الحركات الإسلامية الأولى بعد الاستعمار، كرد فعل على تشويه الغرب للإسلام وتاريخه.

ووقف مجموعة من المفكرين المسلمين الموقف الرفض المطلق فلم يقبلوا أي إسهام في الثقافة الإسلامية من أناس لا يدينون بالإسلام لم يقبلوه على أنه حجة وعلى أنه أن يقدم جديدًا في المفهوم، وينظر هذا الفريق على الاستشراق على أنه علم أوروبي وهو صورة لما توصلت إليه إليه أوربا في معرفة الشرق.



وعلى الرغم من صدق الغيرة، إلا أن هذا الخطاب غالباً ما يفتقد إلى التحليل العميق، ولا يُميّز بين المستشرق المعادي والمستشرق الموضوعي، مما جعله عاجزاً عن التأثير في الوسط الأكاديمي العالمي. (النملة، علي ابراهيم، 1993، مصادر معلومات عن الاستشراق والمستشرقين، مكتبة الملك فهد، الرياض، ص 21_28)

ثانياً: التفاعل الانبساطي - خطاب التقليد

في المقابل، نشأ خطاب آخر يُعجب بالمستشرقين ويعتبرهم مرجعاً محايداً لدراسة الإسلام، بل ويُعيد بعض الباحثين المسلمين إنتاج آراء المستشرقين بغير تمحيص. ويظهر هذا النمط في كتابات بعض المفكرين العرب الحداثيين الذين انبهروا بالمناهج الغربية النقدية، كالمادية التاريخية، والأنثروبولوجيا، والتفكيك.

وقد انتقد المفكر محمد الغزالي هذا النمط بقوة، وكتب في كتابه قذائف الحق: "عجيب أن تجد بعض كتابنا يقبل ما قاله المستشرق كأنه قرآن منزل، بينما يتجاهل ما قاله علماء الإسلام أنفسهم!" (1993، ط6، دار النهضة، القاهرة، ص 112)

3.2. التفاعل النقدي - خطاب التفكيك والبناء

وهو الاتجاه الأهم، حيث يجمع بين الوعي بالخطر الاستشراقي، وامتلاك أدوات الرد والتحليل. لا يرفض الاستشراق كله، لكنه يُحلل دوافعه، ويكشف تحيزاته، ويُقدّم في المقابل مشروعاً فكرياً إسلامياً أصيلاً. ورفضت بعض مواقف المستشرقين من التراث العربي الإسلامي ونوقشت تلك الافكار من منطلق البحث العلمي واستخدمت اسلوب الحوار الهادئ بخلاف الدراسات الإسلامية فقد رفضت الفكر الاستشراقي وادانته وربطته بالتبشير والاستعمار واتهمته بالتحيز والظلم والتعصب وخدمة اهداف مشبوهة ومعظم شخصيات هذا التيار الفكري هم اصحاب مواقف وطنية وهم اوفياء لتراثهم لحضارتهم وعقيدتهم وتراثهم، ومن الصعب اتهام هؤلاء بالجهل فمعظمهم علماء مبرزون متفوقون باحثون متمكنون وادانتهم للاستشراق لا تنفي عنهم صفة الاعتراف بدور الاستشراق في مجال البحث العلمي وانما تتبع ادانتهم في عاملين هما: 1- وضوح جانب التعصب وعدم الحياد في أعمال المستشرقين 2- ثبوت وجود علاقة مباشرة بين عمل المستشرقين وبين سياسات حكوماتهم الاستعمارية، وأن مواقف الاعتدال والانصاف التي التزم بعض المستشرقين لا تنفي عن الاستشراق مهمته الكبرى في طمس الهوية الاسلامية في التقليل من اهمية تراثنا وحضارتنا



يُمثل هذا الاتجاه مفكرون من أمثال: مالك بن نبي، محمد إقبال، فهمي جدعان، طارق البشري، محمد عمارة (النبهان، محمد فاروق، 2012 الاستشراق تعريفه واثاره ومدارسه، الرباط، 66_74)

4. المحور الرابع: نماذج من المفكرين المسلمين _ تفكيك أطروحات الاستشراق

4.1. الاستجابة الانبهارية أو التوفيقية

في بداية الاحتكاك المباشر مع الغرب (القرن التاسع عشر)، أبدى بعض المفكرين المسلمين نوعاً من الانبهار المفرط بالحضارة الغربية، وخصوصاً بالعلمانية والنهضة الفكرية. ومن أبرز هؤلاء:

1. رفاعة الطهطاوي (1801-1873م)

أول من نقل مظاهر الحضارة الفرنسية إلى العالم الإسلامي، دعا إلى الاستفادة من النظام الغربي دون المساس بأصول الدين، لكنه تأثر بنموذج الدولة الأوروبية الحديثة، واعتبرها "مثالاً للرقى" (الطهطاوي، 2013، 'تخليص الإبريز في تلخيص باريز، ص 41).

2. جمال الدين الأفغاني (1838-1897م)

سعى إلى مشروع توفيق بين الإسلام والعقل الحديث، ودعا إلى مقاومة الاستعمار، لكنه في الوقت ذاته استخدم أدوات خطابية تقرب الفكر الإسلامي إلى النموذج الأوروبي في التنوير، وفي إطار السعي لعزل الأمة عن تراثها الحضاري تأتي الجهود التي بذلتها وتبذلها حركة الاستشراق وخاصة قطاعاتها التي تشكك في ابداع العرب الحضاري (عمارة، محمد، جمال الدين الأفغاني بين حقائق التاريخ وأكاذيب الخصوم، ص 20_88).

3. عبد الرحمن الكواكبي (1855-1902م)

دعا إلى الحرية ونقد الاستبداد، وتأثر بمفاهيم الغرب عن الدولة والقانون، لكنه لم يقدم مشروعاً متكاملًا في مواجهة الاستشراق، هذه الاستجابة كانت مشروعة نظرًا لحالة الضعف الحضاري في العالم الإسلامي لكنها غالبًا ما افترقت إلى التحليل النقدي للاستشراق ووقعت في فخ التبعية الفكرية. (عبد الرحمن الكواكبي، 2010، طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، مؤسسة هنداوي، 12_20)

4.2. الاستجابة النقدية الواعية

تمثل هذه الفئة التي واجهت الاستشراق بعقلية تحليلية متجذرة في النص الإسلامي، ووعي نقدي بأدوات المعرفة الغربية





وفي هذا المحور، نعرض جهود مجموعة من المفكرين العرب والمسلمين الذين قدّموا مشاريع فكرية متمايزة في مواجهة الاستشراق، ليست مجرد ردود، بل محاولات تأسيس خطاب نقدي معرفي يعيد تعريف العلاقة مع الآخر، ويعيد أيضًا تأصيل فهم المسلمين لهويتهم

1. مالك بن نبي (1905-1973) - رائد فكر الاستقلال الحضاري

يرى مالك بن نبي أن أخطر ما فعله الاستشراق ليس تشويه الإسلام في الغرب، بل زعزعة ثقة المسلم بذاته، من خلال فرض نظرة دونية على تاريخ الإسلام وحضارته. في كتابه شروط النهضة يفكك ظاهرة "القابلية للاستعمار" ويعتبرها عقلية داخلية تجعل المسلم يستهلك تصورات المستشرق عن نفسه، دون أن يُبادر إلى التمحيص أو الرد. (1991، ط5، دار الفكر، بيروت، ص145_150)

وقد كتب في أحد فصوله

"كان المستشرق ينظر إلى الإسلام كموروث جامد، ولكن المسلم المتأزم قبل ذلك في غفلة عن دوره الحضاري" (1991، ص45).

ويلاحظ عند مالك بن نبي تركيزه على إعادة بناء القابلية للفعل الحضاري، وهو طرح يتجاوز المواجهة الخطابية، إلى تفكيك بنية الضعف الداخلي

2. محمد إقبال (1877-1938) - فلسفة الوحي في مواجهة النزعة الوضعية

في تجديد التفكير الديني في الإسلام، يُقدّم إقبال مشروعًا متكاملًا لإعادة قراءة الإسلام انطلاقًا من الوعي الحداثي الروحي، دون التفريط في جوهر الدين. ينتقد بقوة محاولات المستشرقين تأويل النبوة والقرآن بوصفهما "حالة نفسية" أو "نتاجًا اجتماعيًا"، مؤكدًا أن ذلك يناقض طبيعة الوحي نفسه. (1968، ط2، دار المعارف، القاهرة، ص54).

كتب في محاضراته الثالثة

"النبوة ليست انفعاليًا، بل فعل إلهي له امتداد في ضمير الإنسان، وهذا ما يعجز التحليل النفسي المادي عن إدراكه" (1968، ص54).

وقد دافع إقبال عن موقع الإسلام في الفكر العالمي، معتبرًا أن الاستشراق في كثير من مراحله "جهد لمعرفة دون إيمان"، وهذه الثنائية سبب كل التشويه.

3. محمد عمارة (1931-2020) - تفكيك سرديات التشويه الاستشراقي





في كتابه شبهات حول القرآن الكريم يُفند عمارة دعاوى المستشرقين الذين ادعوا أن القرآن "مجتزأ من التوراة والإنجيل"، مستشهداً بتحليلات لغوية وتاريخية تُظهر تفرد البنية القرآنية. كما كشف عن الخلل المنهجي في قراءاتهم للنصوص، حيث يُطبّقون مناهج غربية على نصوص لا تتناسب معها. كتب يقول:

"لو استخدم المستشرق مناهجه النقدية نفسها على كتب العهدين لما أبقى منها شيئاً، لكنه لا يفعل ذلك لأنه يشتغل بنسق انتقائي مسبق" (2005، ط1، مكتبة الشروق، القاهرة، ص68).

كما دعا عمارة إلى تأسيس علم نقد استشراقي إسلامي، يتجاوز التلقّي إلى الإنتاج والتحليل.

4. طارق رمضان (1962-) - تأسيس خطاب مسلم في الغرب

في كتابه الإصلاح الجذري، يدعو رمضان إلى إعادة النظر في علاقة المسلم بالغرب، مؤكداً أن التصدي للاستشراق لا يعني دائماً الرفض، بل يستلزم إعادة إنتاج ذات معرفية قادرة على الحوار والتفكيك. وهو يمثل نموذجاً للخطاب الإسلامي المعاصر الذي يتعامل مع الاستشراق كحالة ثقافية-سياسية، لا مجرد قضية لغوية أو دينية.

كتب يقول:

"الاستشراق ليس فقط ما كُتب، بل هو كيف نُقرأ به أيضاً. والمسلم إن لم يمتلك أدوات القراءة سيبقى تابعاً وإن ظن نفسه ناقداً" (2009، ط1، الشبكة العربية للأبحاث، بيروت، ص33).

5. فهمي جدعان - الإسلام بين التبعية والتحرر المعرفي

في تحرير الإسلام: نحو إنسانية فاعلة، ينتقد جدعان اختزال الإسلام في التراث فقط، ويدعو إلى مشروع تحرر فكري إسلامي قادر على إنتاج بدائل معرفية للاستشراق. ويرى أن المواجهة لا تكون برد الشبهات فقط، بل بامتلاك الجراءة على تأسيس "المفاهيم من الداخل"، لا استيرادها من الخارج.

كتب يقول:

"الإسلام حين يتحول إلى موقف من الوجود، يصبح فعّالاً في نقد غيره لا خائفاً من نقده" (2012، ط1، الشبكة العربية للأبحاث، بيروت، ص57).

5. المحور الخامس: نحو مشروع معرفي حضاري بديل في مواجهة الاستشراق

إنّ الردود الفردية والموسمية على الاستشراق، وإن كانت مهمة في بعض مواضعها، لا تكفي لتشكيل وعي حضاري راسخ. ومن هنا تبرز الحاجة إلى بناء مشروع معرفي شامل، يجمع بين الأصالة والمنهج،





ويتعامل مع الاستشراق لا كعدو دائم، ولا كمرجعية معرفية نهائية، بل كخطاب بشري له سياقاته، وتحكمه دوافعه، ويحتاج إلى تفكيك وإعادة تركيب من داخل المرجعية الإسلامية.

5.1. الانطلاق من الرؤية القرآنية في التعامل مع الآخر

إنَّ القرآن الكريم يعلمنا كيف نتعامل مع "الآخر المختلف" دون انفعال أو خضوع. فقد سجل القرآن آراء المشركين وأهل الكتاب ونقاشاتهم مع النبي بكل وضوح، ولم يمنع ذلك من إرساء قواعد العدل، والجدال بالحسنى، والحوار. (دراز، محمد عبد الله، 1950، دستور الاخلاق في القرآن، تح: عبد الصبور شاهين، مؤسسة الرسالة، 753_760)

قال تعالى:

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (النحل: 125).
إن هذه المبادئ هي الأساس في الحوار مع المستشرقين، ودحض شبهاتهم دون ظلم أو مبالغة.

5.2. الاستفادة من السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي

من السيرة النبوية يمكن استخلاص نماذج عملية فريدة في التعامل مع الآخر المختلف دينياً أو ثقافياً. ففي وثيقة المدينة، أقرَّ النبي التعدد الديني في إطار العدل والوحدة المدنية. وفي حوار مع نصارى نجران، استخدم المنطق والهدوء والاحتكام إلى القيم المشتركة. أما في التاريخ الإسلامي، فقد دَوَّن الطبري وابن الأثير حوارات متعدّدة بين المسلمين وأصحاب الديانات الأخرى، مثل:

مناظرات عمر بن عبد العزيز مع وفود النصارى واليهود (الطبري، محمد بن جرير (ت310هـ/923م)، 1997، تاريخ الرسل والملوك، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، ج5، ص211).
حوارات العلماء في بلاط الخلفاء العباسيين مع رهبان النصارى (ابن الأثير، علي بن أبي الكرم محمد بن محمد (ت630هـ/1233م)، 1986، الكامل في التاريخ، ط3، دار صادر، بيروت، ج6، ص142).
وهذا يؤكد أن الحوار الحضاري جزء أصيل في التراث الإسلامي، ويمكن تفعيله في مواجهة الاستشراق المعاصر

5.3. بناء مؤسسة نقد معرفي مستقلة

ينبغي أن يُستثمر ما بدأتها الجامعات الإسلامية، لتأسيس مراكز أبحاث متخصصة في الاستشراق، تقوم على:





تحليل الخطابات الاستشراقية المعاصرة.

الرد الأكاديمي المؤصل.

تقديم الإسلام بلغة منهجية تتجاوز الإنشائية والعاطفة. (عبد الملك، انور، الاستشراق في أزمة،

ص110_105)

الخاتمة

- 1- إنَّ العلاقة بين المفكر المسلم والاستشراق هي علاقة معقدة، تداخل فيها التاريخ بالدين، والسياسة بالثقافة، والهوية بالانفعال. وقد كشف هذا البحث أن المواقف الإسلامية من الاستشراق تراوحت بين الانبهار والرفض، لكن تيارًا ثالثًا نشأ مع النخبة الواعية من المفكرين، سعى إلى تفكيك أطروحات الاستشراق بعقلية نقدية تستند إلى أصول إسلامية حضارية.
- 2- وقد بيَّنا كيف قدَّم مفكرون كبار - مثل مالك بن نبي، ومحمد إقبال، ومحمد عمار، وغيرهم - جهودًا تأسيسية في نقد الاستشراق، لا من خلال الشعارات، بل بمنهج نقدي تأصيلي أصيل.
- 3- كما أبرزنا دور المؤسسات الأكاديمية في تعميق هذا الوعي عبر الرسائل العلمية، والأساتذة المتخصصين، ما يدعو إلى تعميم هذه التجربة في الجامعات الإسلامية.
4. . الاستشراق خطابٌ ذو مصلحة: أنتج «شرقًا» متخيلاً يخدم الهيمنة الثقافية والسياسية.
5. تباين استجابات المفكرين: بين انبهارٍ وتوفيقٍ ورفضٍ انفعالي، وأرقاها الاستجابة النقدية المؤصلة التي تبني خطابًا ذاتيًا مستقلًا.
6. الهوية الفكرية الإسلامية قادرة على التجاوز متى ما انطلقت من الوعي والعقل واللغة والتاريخ، لا من ردود الأفعال.
7. النماذج التاريخية العملية تدعم صورة الإسلام كحضارة حوار وعدل - لا كصرع - (ابن هشام؛ الطبري؛ ابن الأثير).

المصادر

- [1] ابن الأثير، علي بن أبي الكرم محمد بن محمد. (1986). الكامل في التاريخ (ط. 3). دار صادر.
- [2] إقبال، محمد. (1968). تجديد التفكير الديني في الإسلام (ط. 2). دار المعارف.
- [3] بدوي، عبد الرحمن. (1940). التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية: دراسات لكبار المستشرقين.





- [4] البهي، محمد. (1957). الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي (ط. 1).
- [5] تسهير. (د.ت.). أجناس العقيدة والشرعية.
- [6] بريستيد، جيمس هنري. (1969). انتصار الحضارة: تاريخ الشرق القديم.
- [7] جدعان، فهمي. (2012). تحرير الإسلام (ط. 1). الشبكة العربية للأبحاث.
- [8] الجندي، أنور. (د.ت.). الثقافة العربية المعاصرة في معارك التغريب والشعوبية.
- [9] دراز، محمد عبد الله. (1950). دستور الأخلاق في القرآن (عبد الصبور شاهين، تحقيق). مؤسسة الرسالة.
- [10] رمضان، طارق. (2009). الإصلاح الجذري (ط. 1). الشبكة العربية للأبحاث.
- [11] زقزوق، محمود حمدي. (د.ت.). الثقافة العربية المعاصرة في معارك التغريب والشعوبية.
- [12] الزيايدي، محمد فتح الله. (1998). الاستشراق: أهدافه ووسائله (ط. 1). دار قتيبة.
- [13] سعيد، إدوارد. (1981). الاستشراق.
- [14] الطبري، محمد بن جرير. (1997). تاريخ الرسل والملوك (ط. 2). دار الكتب العلمية.
- [15] الطهطاوي، رفاة رافع. (2013). تخلص الإبريز في تلخيص باريز.
- [16] عمارة، محمد. (2005). شبهات حول القرآن الكريم (ط. 1). مكتبة الشروق.
- [17] عمارة، محمد. (د.ت.). جمال الدين الأفغاني بين حقائق التاريخ وأكاذيب الخصوم.
- [18] الغزالي، محمد. (1993). قذائف الحق (ط. 6). دار النهضة.
- [19] الكواكبي، عبد الرحمن. (2010). طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد. مؤسسة هنداوي.
- [20] لوبون، غوستاف. (2018). حضارة العرب.
- [21] لويس، برنارد. (2003). أين الخطأ؟ التأثير الغربي واستجابة المسلمين.
- [22] لويس، برنارد. (2013). أزمة الإسلام.
- [23] محمد، إسماعيل علي. (1998). الاستشراق بين الحقيقة والتضليل.
- [24] النبهان، محمد فاروق. (2012). الاستشراق: تعريفه وآثاره ومدارسه.
- [25] نبي، مالك. (1991). شروط النهضة (ط. 5). دار الفكر.
- [26] الندوي، أبو الحسن. (1995). ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين (ط. 5). دار القلم.
- [27] النملة، علي إبراهيم. (1993). مصادر معلومات عن الاستشراق والمستشرقين. مكتبة الملك. وات، مونتجمري. (1952). محمد في مكة. المكتبة العصرية.

